

الحمد لله ربَّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، نشهد أنه بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حقَّ الجهاد صلى الله وسلم وبارك عليه كلما صلى عليه المصلون، وصلى الله وسلم وبارك عليه كلما غفل عن الصلاة عليه الغافلون، وسلِّم اللهم تسليمًا مزيدًا.

سماحة والدنا وشيخنا الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ مفتي عام المملكة العربية السعودية رئيس هيئة كبار العلماء.

معالي رئيس شؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي الشيخ الدكتور عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس.

أصحاب المعالي الوزراء، أصحاب الفضيلة العلماء..

أيها الإخوة والأبناء المتسابقون في أشرف ميدان تسابق في حفظ كتاب الله تعالى وتلاوته وتفسيره وتجويده.

أيها الإخوة الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

أحمد الله تعالى إليكم أن هبّا لنا هذه الميادين العظيمة الشريفة التي يتسابق فيها من ابتغى عملا صالحا يقرب إلى الله تعالى، نحمده سبحانه، على ما جعل في قلوب عباده من الفرح بكتساب الله تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس: ٨٨].

أحمده سبحانه إليكم أن جمع هذه الأمة على القرآن والسنة أن جمع هذه الأمة على اتباع أمة محمد ﷺ، فله الحمد كثيرا كما أنعم كثيرا.

وإني في هذا المقام لأتذكّر ونحن في هذا المكان العظيم الشريف المقدّس المطهر في بيت الله الحرام في مكة المكرمة في شهر الله الحرام، نتذكّر أول يوم أوحى إلى النبي ﷺ فيه، وانطلقت فيه رسالة الإسلام وبلغ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- القرآن، والرسالة للناس، حيث كان الناس الذين آمنوا به على عدد أصابع اليد الواحدة، لا يؤبه لهم، يحاربون ويذلون وتنتهك حرمانهم، وليس لهم شأن حتى بين أهلهم وقبيلتهم وذويهم وفي بلدهم.

ثم ما شاء الله أن توسّع الأمر، وانتشرت الهداية، وانتهت الفترة المكية من الرسالة المحمدية بعد قليل من المؤمنين الذين لقوا في السنوات قبل الهجرة ما لقوا من أنواع النكال والتعذيب والشدة.

هاجر النبي ﷺ إلى المدينة فبني دولة الإسلام وأقامها على قواعد الشرع، ونزل إذ ذاك تفاصيل الأحكام الشرعية في العبادات والمعاملات وأحوال الأسرة والمعاهدات وأنواع الأحكام التي تحتاجها الدولة ويحتاجها الناس.

أعز الله نبيه -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- ورفع ذكره، رفع ذكره بين الناس وبين الأمم وفي الأرض جميعا، انتصر محمد بن عبد الله -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- على قريش وعلى قبائل

العرب وعلى أهل الجزيرة، ثم انتصر محمد بن عبد الله -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- على فارس وعلى الروم؛ فوصل صحابته -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- إلى الصين شرقا وإلى البحر غربا في الأندلس والمغرب .

وذلك الانتصار تحقيقٌ لوعد الله تعالى له، حيث قال جل وعلا : ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرَ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَوْمِ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ﴾ [غافر: ٥١]، ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِأُتُهِدَا وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكُنَّا لِلَّهِ شَهِيدًا ﴾ [الفتح: ٢٨]، فمن لم يفتح يوما من الأيام في يوم مضى أو يوم حاضر أو في يوم نستقبله بشهادة بأن دين الله غالب، وأن محمد بن عبد الله -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- منتصر، وأن دين الإسلام ظاهر على غيره، وأن أهل الإسلام غالبون = فإنه لن تكفيه شهادة، وكفى بالله شهيدا.

لقد أسس النبي ﷺ دولة الإسلام على معاني عدّة أسسها على توحيد الله تعالى، على تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، فلا يُعبد في أرض الله إلا الله ﷻ وأن محمدا رسول الله، فلا تتبع سنة ولا شريعة إلا ما جاء به رسولنا ﷺ، ثم تفاصيل الاعتقاد الصحيح الذي به تجتمع الأمة، ثم الحرص على إظهار العبادات وأعظمها إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَنَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَحْمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ [الحج: ٤١].

نعم لقد أعز الله هذه الأمة أمة العرب، وكانت أمة منسية في التاريخ لا قيمة لها، لم يسبق لهم أن صار لهم هيمنة ولا سلطة ولا قوة، ولكن انتصروا، وعلا في البلاد وحكموا بين العباد. وذلك لأنهم أخذوا بالشيء الواحد الذي ينصرهم وهم رسالة محمد ﷺ دين الإسلام الكتاب والسنة.

أقام الخلفاء الراشدين ﷺ وأرضاهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي أقاموا معالم الخلافة في عدلها ومساواتها وحرصها على الحق، أقاموا ذلك ما شاء الله في مدة وجيزة من الزمن؛ لتكون نبراسا وشهادة على ما يأتي بعد ذلك ممن يلي الولايات أو يحكم الدول أو يكون في شأن ما من أمر الناس، فأقاموا العدل بين العباد، وأقاموا أسس الأمانة، وصرّفوا أمر الناس على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. وما لم يكن فيه نص اجتهدوا فيه ما فيه تحقيق لمصلحة العباد.

ثم توالى دول الإسلام؛ توالى من الدولة الأموية التي كانت هي أفضل الدول بعد دولة الخلفاء الراشدين، أفضل الدول أصالة، وأفضل الدول قوة، وأفضل الدول نشرًا للإسلام ومحافظة على ما كان عليه الخلفاء الراشدون ﷺ، كانوا مهتمين بأصل العروبة وأصل الإسلام، وكانوا حريصين على نشر هداية الإسلام قبل أي شيء آخر.

ثم توالى دول الإسلام المتنوعة، وصارت دويلات، ثم ضعفت دولة الإسلام وصار ما صار، وذلك بالتخلف عن تحقيق أصول هذه الشريعة.

أيها الإخوة الكرام هذا الزمن زمن منذ مائة عام جاء فيه الاستعمار، والاستعمار لما جاء

يريد انحراف المسلمين، يريد ذهاب كل أركان القوة في بلاد المسلمين؛ قوة العقيدة، فعمل هنا الكثير من البرامج للإضعاف العقيدة في النفوس، قوة الإيمان، قوة الولاء لله ولرسوله ثم لأمة الإسلام؛ جعل هناك أنواع الولاء للشرق أو للغرب، فضعت أمة الإسلام، وكثرت الشعارات؛ شعارات تذهب إلى تقديس العروبة وأنها هي الجامعة لنهضة هذه الأمة، وشعارات تذهب إلى النموذج الغربي أو إلى النموذج الاشتراكي، ومن ثم جاءت هذه الشعارات بأنواع من الدساتير المختلفة، كل دولة عملت أنواعا من الانتقاء لدساتير مختلفة ولقوانين متعددة.

ولكن آل الأمر إلى أن كل التجارب فشلت، وكل الشعارات لما تنجح بل جاءت هذه الأمة بالويل، والآن استيقظ الضمير المسلم في كل العالم العربي وغير العربي على أن محور نهضة هذه الأمة ومحور قوتها إنما هو بالإسلام على غيره، إنما هو بالقرآن العظيم الذي هو كتابه جل جلاله وتقدست أسماؤه فالرابطة الحقيقية القومية هي الرابطة الإسلامية فقط، هي الرابطة الإيمانية التي تجمع الناس على الاتجاه لهذه الكعبة المشرفة العظيمة.

اليوم نحتاج إلى أنواع من العبرة لما قامت المملكة العربية السعودية، وأسسها الملك الصالح، عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله تعالى وجزاه عنا خير الجزاء كان الناس إذ ذاك يرضخون في أنواع من الاستعمار وأكثر جزيرة العرب لم يأبه بها المستعمر لعدم حاجته إلى ما فيها من الرمال أو الأودية أو الصخور فقيض الله هذه الدولة أن تقوم على يد الإمام المؤسس، فكانت قائمة على أساس هو الكتاب والسنة، الناس في الدول كلها بعد الحرب العالمية الأولى ذهبوا إلى دساتير مختلفة، وقامت المملكة العربية السعودية وحيدة إذ ذاك على أساس الكتاب والسنة مرجعيتها الكتاب والسنة، ومظلتها الكتاب والسنة وما أجمعت عليه الأمة وما اختلفت فيه الأمة فلها في اتجاهات علمائها ما يناسب الزمان والمكان والعوائد والأحوال.

قامت هذه المملكة على نموذج صالح، وقام العلماء فيها على مساندة ولاة الأمر في تنظيم الدولة التنظيم الإسلامي الذي يكون قريبًا من تنظيمات الزمن الأول: سواء في القضاء الشرعي، أو في المرجعية العلمية؛ في الفتوى، أو في التعليم، أو في رابطة الناس وتأخيرهم وتألفهم، أو في أنحاء شتى. ولذلك تجد في هذه البلاد -والله الحمد- من تفاصيل اتباع السنة في أنظمة الدولة ما لا يعرفه إلا أهل العلم الذين دخلوا في هذا بعمق.

ومع ذلك فحتاج إلى كثير من أنواع الثبات والتثبيت على هذه الأسس العظيمة. لمّا كان الأمر كذلك مضى على أساس بين قوي في تأخ بين الأمة الإسلامية، وفي تحاب بين جميع العرب وجميع المسلمين والالتفاف حول هذه البلاد، حول هذا البيت العتيق.

ثم آل الأمر إلى أبنائه وساروا على هذا العهد إلى وقتنا الحاضر وقت خادهم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز أيده الله وقت ولي عهده الأمير سلمان بن عبد العزيز وفقه الله وجعلهم منبر خير وشدة حتى دائما وأبداً.

ولكن اليوم نرى أنواعا من التجارب لتحكيم القرآن، أو لمرجعية للكتاب والسنة؛ إما

على مستوى دول، وإما على مستوى دعاة، وإما على مستوى جماعات وفئات وأحزاب.

وهذا كله مما يُحمد أن يكون الاتجاه إلى تحكيم الكتاب والسنة والحرص على كلام أهل العلم واجتماع الأمة على كلمة بيّنة، والله جل وعلا بيّن لنا أن الحكم يجب أن يكون بالحق: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]، وابتلى الله ذي القرنين بقوم واختبره بهم، فأجاب ذو القرنين عن هذا الابتلاء بقوله كما في آخر سورة الكهف: ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ﴾ [الكهف: ٨٧]، قال الله له: ﴿إِنَّمَا أَنْتُ مُعَذِّبٌ وَإِنَّمَا أَنْتُ مُنْجِيٌّ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [٨٨] اختبأوا وابتلاء له، وسورة الكهف هي سورة الابتلاء، قال: ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا ثَكُورًا﴾ [٨٩] وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَى وَسَوْفَ يُسْأَلُ عَنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [٩٠].

طريق واضح حكم العدل وحكم بالحق، وابتعاد عن اتباع الهوى، والتفريق بين الناس بين الظالم وغير الظالم، بين الفاسد وبين الصالح، بين المعطي بالحق وبين المعطي بالهوى والظلم والعدوان، لا يمكن أن يستقر للناس حياة صالحة إلا أن لا يكون للظلم وجود أو أن يقل الظلم، فالله جل وعلا حرّم الظلم على نفسه وجعله بين العباد محرماً.

وأعظم ذنب عُصي الله جل وعلا به، ويمقته جل وعلا الظلم، وليس الشرك بالله إلا أحد أفراد الظلم؛ لأنه ظلم في حق الله تبارك وتعالى وعدم تنزيل العبادة في موضعها ولمن تليق به.

اليوم لدينا تجارب كثيرة وإن طال الكلام لكنه مهم، لا يمكن أن يكون هناك تأصيل لإصلاح بفوضى؛ فوضى بأي نوع من أنواع الفوضى، فوضى فكرية سواء كانت بكتابات أو بمحاضرات أو بانتشار في مواقع الأنترنت كالتويتر وغيرها، لا يمكن أن يكون هناك إصلاح بفوضى فكرية وفوضى هوى وفوضى أحقاد، وكل من ركب مركب الهوى والفوضى فإنه لن يصلح هذه الأمة؛ بل سيفسدها؛ بل وإن كان له أتباع وإن كان له أنصار.

أيضاً الفوضى لا يمكن أن تصلح في المجتمعات ولا أن تصلح المجتمعات، المجتمعات تصلح بالاجتماع على كلمة الله تعالى، وإذا كان هناك ما يوجب الإصلاح ويوجب الغيرة فإنه يكون بطرقه الشرعية التي جاءت في زمننا الأول، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا الأمر الذي أصلح أولها، ولهذا شدد الله جل وعلا في القرآن، وفي السنة النبي ﷺ شدد على لزوم الجماعة والحذر من الفرقة، وثبت في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: «الجماعة رحمة والفرقة عذاب»، لذلك كل من يسعى إلى وسيلة من وسائل الاجتماع فإنه على رحمة وبالرحمة، وكل من يسعى بوسيلة من وسائل الافتراق فهو على وسيلة من وسائل العذاب الذي يريده بنفسه وبمن حوله.

أسأل الله جل وعلا أن يوفق قادة المسلمين جميعاً لما فيه رضاه، وأن يجعل هذه الأمة في نهضتها محكمة للكتاب والسنة، ساعية لما فيه الحق، معتنية ما فيه الباطل، محققة لأعلى المصالح، ودائرة أكبر المفاسد، جمع الله كلمة المؤمنين والمسلمين على الحق والهدى .

في هذا المقام أشكر لخدام الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز أيّده الله وأتم عليه نعمة الصحة والعافية، ولمقام سمو ولي عهده العناية بهذا العمل الإيماني القرآني العظيم والحرص عليه، كما أشكر لهما حرصهما على كل أمور الدعوة الإسلامية وما ينفع المسلمين ويجمع شملهم.

كما أني أشكر سماحة والدنا وشيخنا والشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ مفتي عام المملكة على حضوره لنا في هذه الليلة المباركة، وإدخاله السرور على ابنائه حفظة كتاب الله تعالى وإدخال السرور علينا جميعاً، ومتعنا بهذه الكلمة جعله أعماله المباركة، وجعل عمره مديداً في صحة وعافية ونفع للإسلام والمسلمين.

كما أني أشكر الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي ممثلة في معالي رئيسها الشيخ الدكتور عبد الحمين السديس على تعاونه الكبير في إقامة هذه المسابقة على مدى عشرة أيام في أروقة هذه البيت العتيق.

وأشكر لجميع الإخوة المساندين ولأمانة المسابقة ولجميع اللجان العاملة جهدهم الكبير في إنجاح أعمال هذه المسابقة.

ثم لا يفوتني أن أتوجه بالشكر الجزيل لإخواني المشايخ أعضاء لجنة التحكيم من بلدان إسلامية مختلفة على ما اجتهدوا فيه في تقييم هذه التلاوات وإنجاح أعمال هذه المسابقة جزاهم الله عنا وعن المتسابقين خيراً.

ثم إني أهني أبنائي وإخواني الذين تسابقوا وحضروا إلى مكة وأكرمونا باستضافتهم في حضور هذه المسابقة والتنافس فيها من فاز منهم ومن لم يفز بالمراكز المتقدمة أهنئهم جميعاً على ما قام في صدورهم من حفظ كتاب الله تعالى والنور بين جنباتهم، زادهم الله إيماناً ونوراً، وأخص بالتهنئة الإخوة الفائزين وفقهم الله وجعل القرآن لهم نورا ونبراساً، وجعلهم من قادة هذه الأمة في تعليم القرآن وفي تحفيظه وتجويده، والبذل له؛ فإن هذا القرآن كلام الله يستحق منا أكثر، ويستحق منا أعظم، ويستحق أن تبذل فيه الأنفس والأوقات والليل والنهار، زادنا وإياكم من الإيمان والتقوى.

وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، اللهم فاغفر لنا جميعاً جمّاً.

كلمة

بمناسبة اختتام حفل مسابقة الملك عبد العزيز الدولية

لحفظ القرآن الكريم الدورة ٣٤ عام ١٤٣٤ هـ محرم -

ألقاها في أروقة الحرم المكي الشريف

تحكيم الشريعة الإسلامية في المملكة

لفضيلة الشيخ

صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

حفظه الله تعالى

النسخة الإلكترونية (١)

